وظائف التقديم والتأخير في القرآن الكريم سورة المائدة أنموذجا

The functions of presenting and delaying in the Noble Qur'an Surat Al-Ma'idah (as a model)

أ.م. د. أحمد جاسم مسلم

Assist. Prof. Dr. Ahmed Jassim Muslim

جامعة القاسم الخضراء/ كلية التقانات الإحيائية

University of Al-Qasim Green /College of Biotechnology

الكلمات المفتاحية: الوظائف، التقديم والتأخير، سورة المائدة.

Keywords: jobs, presenting and delay, Surat Al-Maida.

الملخص

سعى هذا البحث الموسوم بـ (وظائف التقديم والتأخير في القرآن الكريم...سورة المائدة أنموذجاً) إلى بيان وظائف ظاهرة التقديم والتأخير في ضوء دراسة تطبيقية على سورة المائدة المباركة، وقد تناول هذه الظاهرة كثير من الباحثين من قبل لكن دراساتهم كانت تسلّط الضوء على جزء منها دون التوسّع الشامل في بيانها، وأغلب دراساتهم كانت تعتني بالغرض أو الفائدة من التقديم في سياقه الذي ورد فيه، وتوسّع هذا البحث لبيان ست وظائف للتقديم والتأخير، هي: الوظيفة البلاغية، والوظيفة الجمالية، والوظيفة النصّية، والوظيفة التداوليّة، والوظيفة الأسلوبية، والوظيفة السياقية.

ويدلّ هذا على أهمية التقديم والتقدير كما أشار إليها عبد القاهر الجرجاني من قبل ودعا إلى التفكّر في مواضعه لبيان فوائده الجمّة، وأرجو أن أكون قد وفّقت في ذلك والحمد لله ربِّ العالمين.

Abstract

This research paper, entitled "The Functions of Delaying and presenting in Holy Qura'an: Al-maieda Surah as a sample", is aiming at stating the functions of phenomenon of delaying and presenting as an applied study on the blessing surah of al-maiedh, many researchers have inspected this case before conducting this study, but their studies shed light on some part of it without any expansion in its scope, most of their studies are dealing with the purpose of presenting in its context, which it occurs. This paper enlarges to show six functions of delaying and presenting as follows: rhetorical function, aesthetic function, textual function, pragmatic function, stylistic function, and the contextual function, and this refers to the significance of delaying and presenting as shown by Al-georgani before and claimed for thinking about its positions to highlight its many sorts of importance. Hoping that I get succeeded in doing it and thanks for almighty God.

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم... وصلّى الله على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين وصحبه ومن تبعه بالإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

يعدّ التقديم والتأخير من أهم سمات التعبير القرآني، وقد اعتنى به وببيان أغراضه علماء البلاغة والمفسرون من القدماء والمحدثين، ويكاد يكون سمة أسلوبية مهيمنة في القرآن الكريم، وعلى الرغم من هذا الاهتمام إلا أن دراسته بقيت ضمن حدود الغرض والفائدة، ولم يتوسّع العلماء في بيان فوائده الجمّة الأخرى، إلا في حدود بسيطة وإشارات عامة لا تغني هذا الأسلوب.

وقد سعيت في هذا البحث إلى أن أبيَّنَ وظائف التقديم والتأخير المختلفة بالانفتاح على المناهج الحديثة المجاورة التي تهتم بالنص وتحليله إلى جانب بيان الوظيفة البلاغية التي أشار لها علماء البلاغة، وهذه الوظائف هي: الوظيفة البلاغية، والوظيفة الجمالية، والوظيفة النصّية، والوظيفة التداوليّة، والوظيفة الأسلوبية، والوظيفة السياقية، وكشفت عن هذه الوظائف في ضوء دراسة نماذج التقديم والتأخير في سورة المائدة، معتمداً في التحليل على منهج كلّ وظيفة من الوظائف، فمثلاً اعتمدت على المنهج التداولي في بيان الوظيفة التداولية، والمنهج النصّي في بيان الوظيفة النصية، وهكذا في بيان بقية الوظائف.

أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقّت ووصلت إلى المطلوب في بحثيَ هذا، فإن كان كذلك فالفضل والمنّة لله تعالى عليّ، وإن سهوت أو أخطأت فأسأل الله تعالى أن يصوّب خطأي ويغفر لي زلتي إنه غفورٌ رحيم، وله الحمد والشكر أولاً وآخراً، كما أشكر كلّ من مدّ لي يدَ العون وأعانني ولو بكلمة تشجيع، والحمد لله ربِّ العالمين.

الباحث

التقديم والتأخير

يعدّ التقديم والتأخير من أهمّ سمات التعبير القرآني على نحو خاص والتعبير بنحو عام، وقد اجتهد الباحثون قديماً وحديثاً في الحديث عن أسرار التقديم والتأخير على المستوى النحوي والبلاغي والأسلوبي وما ينتج عن ذلك من دلالات مستفادة من هذا العدول عن الرتبة في الاستخدام، وبسبب أهمية هذا الموضوع فقد وضعه البلاغيون في مباحث علم المعاني حتى يتوسّعوا في دراسته وبيان فوائده المعنوية، وبذلك ابتعدوا به عن الدراسات النحوية التي تقف عند مستوى الجملة ومحاولة وضع أحكام نحوية للتقديم الجائز والواجب والممتنع مع اهتمام قليل ببيان المعنى الذي يترتّب على هذا التقديم، لذا فالبلاغيون كان لهم الفضل في تطوير الدراسات التي تهتمّ بالتقديم والتأخير وتخليصه من النظرة التقعيدية.

مواضع التقديم والتأخير واسعة جداً، فهي ترتبط بنوعي الجملة الاسمية والجملة الفعلية بتقديم المبتدأ على الخبر أو تقديم المفعول على الفعل والفاعل أو تقديمه على الفاعل، أو بتقديم الفاعل على الفعل، وأيضاً بتقديم الفضلة مهما كان نوعها على أصل الجملة المرتبطة بها، أو بتقديم بعض الألفاظ على بعض خارج نظام الجملة ورتبة أركانها.

ولا يمكن أن يكون التقديم اعتباطياً بلا فائدة، وهذا مخالف لأصل النيّة من التعبير خاصّة في التعبير القرآني، وإلى ذلك أشار عبد القاهر الجرجاني في قوله: ((واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وأن يعلّل تارة بالعناية وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب، حتى تطّرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه، ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدلّ تارة

ولا يدلّ أخرى، فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختصّ بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخّر فقد وجب أن تكون تلك قضية في كلّ شيء وفي كلّ حال))[1].

يؤكّد الجرجاني في ضوء قوله في أعلاه على أن الفائدة هي نتيجة لكلّ تقديم وتأخير، ولا يمكن أن يكون هناك تقديم لا يدلّ، فهذا من المحال في التعبير الفصيح، مع ذلك فهو قد ترك بيان الفائدة بلا قيد، فهي فائدة عامة غير مختصّة بالدلالة فقط وإنما تتوسع لتشمل مجمل الفوائد التي يحرزها هذا التقديم في موضعه ومن ضمنها الفائدة الدلالية.

اهتمّ الجرجاني بأمر التقديم والتأخير ودعا إلى التوسّع في دراسته لبيان فوائده وأثره في الكلام، وانتقد الذين لا يعيرون له الأهمية إلا بقدر بسيط من ذكر معانٍ عامّة دون تحليل وإمعان نظر، فقال: ((وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدّم للعناية ولأن ذكره أهمّ، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ولمَ كان أهمّ. ولتخيّلهم ذلك قد صغُر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم وهوَّنوا الخطب فيه حتّى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلّف ولم ترَ ظنّاً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه))[2]، وهذا الرأي يدعو إلى التتبع الدقيق لظاهرة التقديم والتأخير لأجل الوصول إلى أسرارها البلاغية.

وفي حديث آخر للجرجاني يصف فيه التقديم والتأخير ويشير إلى سعة فوائده، يقول: ((هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان))[3].

لم يحدد الجرجاني هذه الفوائد الكثيرة، ولم يكشف على نحو دقيق عن هذه المحاسن الجمّة وغيرها من الأوصاف التي ذكرها، لكن مع ذلك فالجرجاني كان بنظره البعيد الثاقب يشير إلى مجموعة من الوظائف التي تنتج عن التقديم والتأخير، على الرغم من أنه لم يفصّل تفصيلا دقيقًا في بيان هذه الوظائف إلا أن كلامه السابق يعدّ مفتاحاً مهماً لدراسة هذا الأسلوب دراسة متنوعة لبيان وظائفه المختلفة التي لمّح إليها.

ومن علماء البلاغة المحدثين الدكتور عبد العزيز عتيق الذي أكّد على المعنى نفسه الذي ذهب إليه الجرجاني في قوله: ((تقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطاً في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي أو داعٍ من دواعيها))[4]، وهذا القول إشارة أيضاً إلى أن للتقديم والتأخير وظائف عدّة من ضمنها الغرض البلاغي، وأيضاً انتهى كلامه بالتلميح دون التفصيل في قوله: (أو داع من دواعيها).

على وفق هذه الأقوال، سعيت في بحثي هذا إلى بيان الوظائف المختلفة للتقديم والتأخير في القرآن الكريم، منها ما أشار إليه العلماء السابقون ومنها ما لم يشر إليه أحد، وهي وظائف مرتبطة بمناهج تحليل ونظريات نقدية قديمة أو حديثة مهتمّة بتحليل النصوص وقراءتها وبيان مغزاها.

الوظيفة البلاغية

استطاع البلاغيون والمفسّرون في ضوء دراساتهم التي تهتمّ بتفسير القرآن الكريم أو الشعر العربي أن يتوسّعوا في بيان الأثر البلاغي لأسلوب التقديم والتأخير، وهم بذلك قد تمايزوا عن النحويين الذين وقفوا عند حدود القاعدة النحوية والجملة في اللغة العربية، لذلك يمكن القول إن البلاغيين والمفسرين هم أوّل من أشار – وإن كان بصورة غير مباشرة – للوظيفة البلاغية للتقديم والتأخير، وفي ضوء استقراء ما قدّمه هؤلاء ظهر تأكيدهم على قضيتين مهمتين، الأولى: المعنى المستفاد من التقديم والتأخير، والثانية: القيمة الجمالية للتقديم والتأخير – التي سأتحدّث عنها بوصفها وظيفة مستقلّة – بمعنى أنهم أدركوا أهمية هذا الاستعمال المغاير للقاعدة وكشفوا عن أغراضه الدلالية والجمالية.

وفي ضوء استعراض الأمثلة الدالة على ذلك من سورة المائدة سيظهر مدى اعتناء البلاغيين والمفسرين بهاتين الوظيفتين المرتبطتين بالوظيفة البلاغية.

قال تعالى: ﴿اليومَ أكملتُ لكُم دينَكم وأتممتُ عليكمْ نعمتي ورَضيتُ لكم الإسلامَ ديناً﴾ (المائدة:3).

ذكر صاحب تفسير مواهب الرحمن أن ((تقديم الجار في ﴿ اليومَ أكملتُ لكُم دينَكم﴾ للإيذان بأن الإكمال إنما يكون لمصلحتكم ومنفعتكم، وتشويق إلى ذكر المؤخر))[5]، فقد أشار المفسّر إلى الغاية من تقديم شبه الجملة (لكم)، فتحقّقت فائدتان، الأولى لبيان أن الدين تعود مصالحه ومنافعه للمسلمين بوصفه تشريعاً سماوياً لتنظيم حياة المسلم وعبادته، وفي هذه الغالية بعد نفسي ومعرفي، حتى لا يتصوّر المسلم أن إقامة الدين وشرائعه فيه منفعة لله تعالى، إنما تعود المنفعة للمسلم نفسه في الدنيا والآخرة إذا التزم بما أقرّه الدين من شرائع، وأيضا يفيد التقديم التشويق إلى ما سيأتي في الآية، من اتمام النعمة والرضا بالإسلام ديناً، وهو إقرار وعقد بين الله تعالى والمسلمين، فالدين دينهم وقد ارتضاه الله تعالى لهم وأتمّه على يد خاتم الرسل (ص)، فتجلّت حكمة التقديم في الآية لبيان هذه المعاني الدقيقة بأسلوب متقن ومقصود، ويتّضح ذلك من إضافة الدين للمسلمين لا إلى الله في قوله (دينكم) لبيان هذه الحقيقة وإثباتها في نفوس المسلمين.

قال تعالى: ﴿ يا أيّها الذين آمنوا اذكرُوا نعمةَ اللهِ عليكم إذ همَّ قومٌ أن يبسطُوا إليكم أيدِيَهم فكفَّ أيدِيَهم عنكم واتَّقُوا اللهَ وعلى اللهِ فلْيتوكل المؤمنون﴾ (المائدة: 11).

تقدّم الجار والمجرور (إليكم) على المفعول الصريح (أيدِيَهم) لحصر رجوع ضرر البسط وغائلته إليهم، وأيضا تقدّمت شبه الجملة (وعلى الله) على صيغة الأمر (فلْيتوكَّلْ) لحصر توكّل المؤمنون على الله خاصّة دون غيره مطلقاً[6].

فالتقديم للجار والمجرور في الآية الكريمة في موضعين فيه إشارة إلى معانٍ خفية لا تحصل بدونه، فالله تعالى أراد أن يطمئن المسلمين من البطش والقتل على يد الكافرين، فهم قد بسطوا أيديهم واستعدوا لذلك، وأخبر

الله تعالى أن ضرر ذلك عائد على الكافرين ولا يمسّ المؤمنين لذلك كرّر المفعول الصريح (أيدِيَهم) في قوله:﴿فكفَّ أيدِيَهم عنكم﴾ لبيان هذا المعنى مع تقديم شبه الجملة (إليكم)، وقد تكفّل سبحانه بدفع الضرر عن المسلمين وارتداده على الكافرين أنفسهم.

وتقديم شبه الجملة على الأمر (فلْيتوكَّلْ) أفاد تخصيص التوكل ووجوبه على المؤمنين في جميع الأمور التشريعية والتكوينية، لأنه وحده القادر على دفع الأذى عنهم وحمياتهم من كيد الأعداء، كما تقدّم في دفع ما همّ به القوم من بسط اليد طمعاً في إهلاكهم، وفي الآية عموماً أمر بالتقوى والتوكّل على الله تعالى، لذلك قدّم التقوى على التوكّل في الآية الكريمة ﴿ واتّقُوا اللهَ إنّ اللهَ خبيرٌ بما تعملُون﴾ (المائدة:8)، وفي هذا التقديم إشارة إلى أنّ التوكّل لا يكون حقيقيّاً إلا بعد التقوى التي تحصل من معرفة الله تعالى ومعرفة شريعته وتطبيق أوامره والانتهاء عن ما نهى عنه، لذلك سبق ورود (التقوى) والأمر بها على ورود (التوكّل) والأمر به.

قال تعالى: ﴿ولقد أخذَ اللهُ ميثاقَ بني إسرائيلَ وبعثْنا منهم اثنى عشَرَ نقيباً وقال اللهُ إنّي معكمْ لَئِن أَقمتُمْ الصلاةَ وآتيتُمْ الزَّكاةَ وآمنتُمْ بِرُسُلي وعزَّرتُموهمْ ﴾ (المائدة: 12).

لقد قدّم الله تعالى في الآية الكريمة إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على الإيمان بالرسل، وهو خلاف العادة، فالإيمان بالرسل يتبعه الإقرار بما أمروا به ومنها الصلاة والزكاة، فلا بدّ أن تكون هناك غاية من هذا التقديم، وذكر صاحب الغرائب أنّه ((لعلّ اليهود كانوا مقصرين في الصلاة والزكاة فكان ذكرهما أهم))[7]، لعلم الله تعالى بهم وأنهم سوف يقصّرون في هاتين العبادتين لذلك قّدمهما على الإيمان بالرسل وسياق الآية يُشعر بذلك، ففيها عهد بين الله وبين بني اسرائيل أنه سيكون معهم وينصرهم إذا فعلوا ما أمر الله به، والقسم بـ (لئِن) يُشعر بذلك أيضاً، وما آل إليه بنو إسرائيل من تضييع الصلاة وعدم إيتاء الزكاة يؤكّد أهمية هذا التقديم، لذلك قدّم الله تعالى ما فيه تطهير لنفوسهم وهي الصلاة وما فيه تطهير لأموالهم وهي الزكاة على الإيمان بالرسل، لأنهم كانوا يؤمنون بالله ورسوله موسى عليه السلام، فكشف هذا التقديم عن حقيقة ما كان بنو إسرائيل مقصرين فيه.

قال تعالى: ﴿والسَّارقُ والسَّارقةُ فاقطعُوا أيدِيهما جزاءً بما كسَبا نَكالاً من اللهِ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ* فَمن تابَ من بعدِ ظُلمِهِ وأَصلحَ فإنَّ اللهَ يتوبُ عليهِ إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ* أَلَمْ تعلمْ أنَّ اللهَ لهُ ملكُ السمواتِ والأرضِ يُعذِّبُ من يشاءُ ويَغفرُ لمن يشاءُ واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ (المائدة:38-40).

في الآية الكريمة أكثر من تقديم وتأخير، وفي كلّ موضع أفاد معنىً قصد إليه الأسلوب القرآني، فتقديم (السّارق) على (السّارقة) لأنها أشهر وأغلب في الرجال لما تحتاجه من قوّة بدنية وجرأة وغلظة في الشعور وجفاف في العاطفة، وهذا في الرجال أكثر[8].

وأشار صاحب المواهب إلى علّة تقديم (السّارق) على (السّارقة) وقرنها بتقديم (الزانية) على (الزاني) في الآية (2) من سورة النور، قال: ((وإنّما قدّم السارق في آية السرقة، وقدّم الزانية في آية الزنا، لأن السرقة في الرجال

أشيع منها في النساء، لأنّها مبنيّة على القوة، وهي في الرجال أكثر، كما أن الزنا في النساء أشيع منه في الرجال، لأنه مبنيّ على الشهوة، وهي في النساء أشدّ))[9]، فالشهرة أو الشيوع هو العلّة للتقديم فيما سبق ولا فرق بينهما كما ذكر المسيري أو السيد السبزواري، وفسّرا ذلك بحسب طاقة كلّ جنس من الرجال والنساء، فلم يكن التقديم اعتباطاً إنّما في ضوئه يمكن معرفة الإمكانات البدنية والنفسية لكل جنس.

وفي الآية تقديمان آخران أفادا الاختصاص، الأول: بتقديم شبه الجملة المتعلّقة بالخبر المحذوف على المبتدأ في قوله: (لهُ ملكُ السمواتِ والأرضِ)، لبيان أن السموات والأرض وما فيهما ملك لله يتصرّف فيه كيفما يشاء سبحانه وتعالى، والثاني: تقديم متعلّق الجملة الأسمية شبه الجملة (على كلّ شيء) على الخبر في قوله: (واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ)، لبيان قدرته تعالى على كلّ شيء سواء أكان ظاهراً أم باطناً، ومن ضمنها تشريع الأحكام التي فيها حفظ النظام، لأنه تعالى أعلم بالنفوس ودواخلها وما يصلحها.

الوظيفة الجمالية

الوظيفة الجمالية هي الغاية من الأسلوب بعد الوظيفة الدلالية، وقد اهتمّ القرآن الكريم بأن يكون أسلوبه في غاية الفصاحة ومنتهى البلاغة بمسار جماليٍّ متفرّد لا يرقى له أسلوب آخر مهما اجتهد في الصياغة، وجمال الأسلوب له أثر كبير في تلقّي النصوص لذا لا يقلّ أهمية عن المعاني المقصودة منه.

فالقرآن الكريم نزل بنظام محكم، ترى فيه ((الانضباط والإحكام في كلّ لفظة وفي كلّ حرف، لا تتقدّم كلمة على كلمة إلا بسبب، ولا تتأخر كلمة عن كلمة إلا بسبب))[10]، فهذا الوصف الدقيق لأسلوب القرآن الكريم ناتج عن الشعور بفرادته وجمال أسلوبه، وقد اشتركت كل الأساليب في اللغة العربية في تقديم القرآن الكريم على هذا النحو من التفرد، وللتقديم والتأخير واستعماله الدقيق المحكم أثر في إظهار القرآن الكريم بهذا الأثر الجمالي المُعجِز الذي لا يدنو منه أيّ أسلوب آخر.

ونلحظ جمالية التقديم والتأخير المتسق والمنسجم مع المعاني النفسيّة والمُظهِر لخفايا النفوس في قوله تعالى: ﴿وإذ أوحيتُ إلى الحواريّينَ أن آمنُوا بي وبرسُولي قالُوا آمنّا واشهدْ بأنَّنا مُسلمُون* إذ قالَ الحواريُّون يا عيسى ابنَ مريمَ هل يستطيعُ ربُّكَ أن يُنزِّلَ علينا مائدةً من السَّماءِ قال اتَّقُوا اللهَ إن كنتُم مؤمنين* قالُوا نُريدُ أن نأكُلَ منها وتطمئِنَّ قُلوبُنا ونعلمَ أن قد صدقْتَنا ونكونَ عليها من الشَّاهِدينَ* قالَ عيسى ابنُ مريمَ اللهمَّ ربَّنا أنزِلْ علينا مائِدةً منَ السَّماءِ تكونُ لنا عيداً لأوَّلِنا وآخرِنا وآيةً منكَ وارزُقْنا وأنتَ خيرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المائدة: 111-114).

الآيات الكريمة قائمة على الحوار بين الحواريّين وعيسى عليه السلام، ومن ثمّ دعاء النبيّ عيسى الذي تجلّى فيه أدب الدعاء فكان في غاية العبودية لشمول دعائه على نظام دقيق في الخطاب مع الربّ طلباً لاستجابة الدعاء، فاشتملت الآيات على قيم الجمال اللفظية والمعنوية وكان لاختيار الألفاظ ومواضعها أثر مهم في اكتساب هذه الآيات صفة التناسق المنطقي الذي يتلاءم مع صفة كلّ متحدِّث، وبذلك امتازت بفصاحة وبلاغة عالية.

من ذلك تقديم ذكر (الإيمان) على ذكر (الإسلام)، والسبب أن الإيمان لا يكون إلا من أعمال القلب بينما الإسلام هو انقياد وخضوع ظاهري، فالإيمان أسبق في الوجود والإسلام يأتي بعده وناتج عنه[11]، والترتيب في طلب الحواريّين بعد أن سألوا عيسى عليه السلام بأن ينزل الله تعالى عليهم مائدة من السّماء له دلالاته التي تكشف عمّا في داخل نفوسهم وأيضاً تُظهر الفرق بينهم وبين عيسى عليه السلام في دعائه الله تعالى من أجل إنزال المائدة، فطلبوا أربعة مطالب، الأول: ﴿أن نأكُلَ منها﴾، الثاني: ﴿وتطمئِنَّ قُلوبُنا﴾، الثالث: ﴿ونعلمَ أن قد صدقْتَنا﴾، الرابع: ﴿ونكونَ عليها من الشاهِدينَ﴾، فتقدّم الأكل وهو موضوع مادي على اطمئنان القلب الذي هو أمر معنوي، وكلاهما تقدّما على حصول العلم بصدق عيسى عليه السلام، وبعد تحقّق هذه الأمور الثلاثة سيشهدون عليها وعلى تحقّقها وعلى صدق النبوّة، وتقديم شبه الجملة (عليها) لتخصيص الشهادة بهم بعد تحقّق الاطمئنان والعلم، فكلّ تقديم في الآية كان يؤكد حقيقة ما طلب الحواريّون وأهمية كل مطلب، فالتتابع في هذه المطالب أظهر نسقاً جمالياً لأنه جاء منسجماً مع مضمون الحواريّين ودواخل نفوسهم.

أمّا دعاء عيسى عليه السلام بعد أن استجاب لطلبهم كان يختلف من حيث المضمون وأدب الدعاء، ويدلّ على عظمة الأنبياء ونظرتهم الواسعة دون أن تتقيّد هذه النظرة باللحظة الراهنة، بعد اعترافه بالربوبيّة قال: ﴿ أنزِلْ علينا مائِدةً منَ السَّماءِ﴾، فـ ((تقديم الظرف على المفعول الصريح، للاهتمام بالمقدّم والتشويق بالمؤخّر))[12]، واشترط أن تكون من السّماء، فلو لم يشترط ذلك لكان المقصود أيّة مائدة ولو كانت من الأرض، ثمّ قدّم قوله: ﴿تكونُ لنا عيداً لأوَّلِنا وآخرِنا﴾ على قوله: ﴿وآيةً منكَ﴾، وجاء طلب الرزق الذي يقابل الأكل في طلب الحواريّين آخراً ﴿وارزُقْنا﴾، فقدّم عيسى عليه السلام الأهمّ بحسب ما يراه، لتكون المائدة شعيرة لبني إسرائيل تحقّق لهم الاجتماع والتآلف وتذكّرهم بقدرة الله تعالى، (والآية) في مقابل شهادة الحواريّين بعد تحقّق نزول المائدة، من ثم طلب الرزق بمفهومه الواسع المعنوي والمادي، ودلّ التقديم في دعاء عيسى عليه السلام على شمولية فكر الأنبياء وعدم محدوديته بعكس ما ظهر من طلب الحواريّين.

ففي ضوء الحوار والتقديم والتأخير والدعاء في الآيات الكريمة تجلّى سمو الأسلوب القرآني وجماله وإيجازه الشديد، فقدّم المعاني الكثيرة وكشف عن دواخل النفوس ورغباتها وثقافتها وعلاقتها بالأنبياء والله تعالى في جمل قليلة، وهذه ميزة التعبير القرآني المكثّف الذي لا تنكشف معانيه إلا لمن تدّبر في قراءته وخبر أسلوبه.

قال تعالى: ﴿وأنزلْنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ مُصدِّقاً لما بينَ يدَيهِ من الكتابِ ومُهَيمناً عليهِ فاحكمْ بينهُم بما أنزلَ اللهُ ولا تتَّبعْ أهواءَهمْ عمَّا جاءَكَ منَ الحقِّ لكلٍّ جعلْنا منكمْ شِرعةً ومنهاجاً ولو شاءَ اللهُ لجعلكمْ أُمَّةً واحدةً ولكن ليبلُوَكُمْ في ما ءَاتاكمْ فاسْتبِقُوا الخيراتِ إلى اللهِ مَرجِعُكمْ جميعاً فيُنبِّئُكمْ بما كنتُم فيهِ تختلِفُون﴾ (المائدة: 48).

الآية الكريمة لتعظيم شأن القرآن الكريم وأنه مهيمن على الكتب السابقة جميعها، وفيها أكثر من موضع للتقديم أسهم في تخصيص المعنى المراد، كما أسهم في جعل أسلوب الآية منسجماً مؤثراً في المتلقّي لجمال

الصياغة وقوّة التعبير المحكم، فالتقديم لم يأتِ اعتباطاً إنما كان مقصوداً لتحقيق الفائدة الدلالية والجمالية التي تجعل النفوس تأنس بقراءة القرآن والتفاعل معه فجاءت الآية ((كلّها منتظمة متناسقة على أبدع وجه)).[13]

فتقديم شبه الجملة على المفعول الصريح في قوله: ﴿ وأنزلْنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ﴾ لتعظيم شأن القرآن الكريم ولتخصيص نزوله على الرسول (ص)، وأيضا ليتجاور الضميران، الضمير الذي يفيد العظمة العائد على الله تعالى (نا) وضمير الخطاب العائد على الرسول (ص) (الكاف)، ويتأخر ذكر (الكتاب) لتشريف الرسول (ص) بهذا القرب، فجاء الترتيب في غاية الدقّة والانتظام مشرقاً بجمال هذا القرب.

وقدّمت شبه الجملة (بينهم) في قوله تعالى: ﴿ فاحكمْ بينهُم﴾ للاعتناء بتعميم الحكم لهم[14]، وفي قوله تعالى: ﴿ لكلٍّ جعلْنا منكمْ شِرعةً ومنهاجاً﴾ تقدمت شبه الجملة (لكلٍّ) على الفعل، والتنوين فيها للعوض والتقدير (لكلِّ أمّةٍ)، وأيضاً تقديم شبه الجملة (منكم) على المفعول، ونظام الآية بلا تقديم يكون: (جعلنا شرعةً ومنهاجاً لكلِّ أمّةٍ منكم)، ونلاحظ الفرق في التعبير من حيث المعنى المراد وإشراق التعبير وجماله، فبالتقديم خُصّصت كل أمّة بشريعة ومنهاج وهذا التخصيص من الله تعالى، وإن شريعة الإسلام هي الخاتمة المتصفة بالكمال لذا أمر الله تعالى الرسول (ص) بالحكم بها بين الناس.

وتقديم شبه الجملة المتعلقة بالخبر المحذوف على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿إلى اللهِ مَرجِعُكمْ جميعاً﴾ أفاد حقيقة رجوع العباد جميعا إلى الله تعالى وهو العالم بأحوالهم وما عملوه في الدنيا، كأنها تُشعر بالترغيب والترهيب، فالرجوع قائم على المعرفة المطلقة بأحوالهم وأعمالهم والتصرّف فيهم على وفقها، لذا ذيّلت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿فيُنبّئُكمْ بما كنتُم فيهِ تختلِفُون﴾ بتقديم شبه الجملة المتعلّقة على فعلها لبيان أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء وأنه سوف يُخبر الناس عن حقيقتهم التي كانوا عليها في الدنيا، سواء أكان خيراً أم شرّاً.

نلحظ أن للتقديم والتأخير أثراً جمالياً لا يخفى فضلاً عن الأغراض الأخرى، فكلّ لفظة في القرآن اختيرت بدقّة في موضعها لتؤدي أغراضاً مختلفة، ومنها هذا الأثر الجمالي الذي جعل القرآن متصفاً بالبلاغة العالية المُعجِزة التي لم يقدر أحدٌ أن يدنو منها مهما كان يملك من طاقات أدبية ومعرفة بأسرار اللغة العربية.

الوظيفة النصّية

يتّكئ علم النص بصفة خاصة على مجال اللسانيات، ومن هذا الجانب فإن علم النص يقترب من الميدان الذي كان مخصّصاً للبلاغة، ويرى أغلب العلماء أنه الممثّل الوحيد لها، وهذا الاندماج بين الخطاب البلاغي وعلم النص أتاح تشكيل منظومة من الإجراءات المنهجية الجديدة[15]، إذ أخذ علم النص من البلاغة مفاهيمها وكيفيّاتها الإجرائية، لذا فإن على البلاغة أن تعدّل مواقفها تجاه النصوص بحيث تتحوّل من الطابع المعياري المتعالي تجاه النصوص إلى اتخاذ طابع تحليلي أكثر مرونة[16].

والنصّ في أهمّ تعريفاته ضمن مفهوم علم النص ما قدّمه دي بوجراند ودريسلر، إذ رءا أن النص حدث اتصالي يستلزم حتى يتّصف بالنصية أن تتوافر فيه سبعة معايير، وهي: الاتساق والانسجام والقصدية والمقبولية والإعلامية والمقاميّة والتناص[17]، ومن هذا المنظور يسعى البحث لبيان الوظيفة النصّية للتقديم والتأخير بوصفه مبحثاً من مباحث علم المعاني وبيان مدى إسهامه في تكامل النصوص القرآنية دلالياً وصياغة.

قال تعالى: ﴿لئِن بسطتَ إليَّ يدَكَ لتقتُلَني ما أنا بباسطٍ يدي إليكَ لأقتُلَك إنّي أخافُ اللهَ ربَّ العالمين* إنّي أُريدُ أن تبوءَ بإثمي وإثمِكَ فتكونَ من أصحابِ النَّارِ وذلكَ جزاءُ الظَّالمين* فطَوَّعتْ لهُ نفسُهُ قتْلَ أخيهِ فقَتَلهُ فأصبحَ من الخاسرين﴾ المائدة: (28–30).

هذه الآيات الكريمة تدور حول قصّة ابني آدم عليه السلام، وهي تصف وصفاً دقيقاً ما جرى بينهما، وتظهر الحوار الذي كان بينهما قبل قتل قابيل لهابيل، نلحظ أن قول هابيل لأخيه الذي افتتحه باللام المشعرة بالقسم في (لَئِن)، وبتقديم شبه الجملة (إليَّ) على المفعول، وكان ذلك من أجل بيان أن أخاه كان عازماً على قتله ولا رجعة له عن ذلك، ونفى نفياً مؤكَّداً أن يكون هو قد بسط يده لقتل أخيه لذا لم تتقدّم شبه الجملة (إليكَ) على المفعول، إنما جاءت في موضعها الطبيعي من الجملة في قوله تعالى: ﴿ لئِن بسطتَ إليَّ يدَكَ لتقتُلَني ما أنا بباسطٍ يدي إليكَ لأقتُلَك﴾، فالجملة في منتهى الفصاحة والبلاغة لتضمّنها المبالغة في النفي وأنه ليس من صفاته القتل ولا من شأنه، فالتقديم والتأخير في شبهي الجملة أبان عن قصد كلّ واحدٍ من الأخوين، بشكلٍ متَّسق منسجم مع المضمون الشريف للآية الكريمة، ومنع اللبس والاختلاط في بيان رغبة كلٍّ منهما.

وفي قوله تعالى: ﴿ فطَوَّعتْ لهُ نفسُهُ﴾، تقدَّمت شبه الجملة (لهُ) على الفاعل، وأفاد هذا التقديم اختصاص قابيل برغبته في قتل أخيه، لعودة الضمير (الهاء) في (له) على قابيل دون هابيل، وبذا أفادت شبه الجملة (له) ((لزيادة الربط، ولا يتمّ الكلام والربط بدونه))[18]، فالغرض من التقديم نصّي أسهم في ترابط وانسجام الآيات دلالياً واتساقها لفظياً وأبان عن المقصود وعمّن يمتلك دافع القتل، فارتفع بذلك الوهم وكشف التقديم عن الحالة النفسية التي عليها هابيل، فابتعد عن مقدّمات القتل وتبرّأ ممّا انطوت عليه نفس أخيه من المبادرة إلى قتله.

قال تعالى: ﴿يا أيُّها الرسولُ بلّغْ ما أُنزِلَ إليكَ من ربِّكَ وإن لم تفعلْ فما بلَّغتَ رسالتَهُ واللهُ يعصمُكَ من الناسِ إنَّ اللهَ لا يهدِي القومَ الكافرينَ﴾ (المائدة: 67).

الآية الكريمة بأسلوبها الرصين، ودلالتها التامة، وجملها المنضودة، تدلّ على أمر مهم يخصّ الدين وديمومته، فهي نسيج وحدها في موقعها ومضمونها، فقد وقعت بين آيات تتعرّض لأحوال أهل الكتاب، وفيها بشارة للنبيّ (ص)، ووجه ارتباطها بالآيات السابقة واللاحقة التي نزلت بشأن أهل الكتاب وأحوالهم، لأنهم كانوا على علم بالولاية والوصاية[19]،

وقد نزلت الآية لأجل تبليغ أمرٍ عظيم الشأن لذا قُدِّم الخطاب الموجّه للرسول (ص) ليلتفت لهذا الأمر العظيم، وليتناسب مع تشديد الخطاب على ضرورة التبليغ الذي لا تتمّ الرسالة بدونه، ثمّ تبع هذا الخطاب قوله تعالى: ﴿ بلّغْ ما أُنزِلَ إليكَ من ربّكَ﴾، للتأكيد على أن هذا الأمر هو من الله، وتقديم شبه الجملة (إليكَ) للاهتمام بهذا الأمر وعدم الغفلة عنه، لأن فيه كمال الدين وتمام النعمة، فأفاد التقديم أيضا الانسجام المضموني للآية الكريمة، في خصوصية ما أُنزِل وأنه من الله، لذلك سوف يتكفّل سبحانه وتعالى بحفظه وعصمته (ص) من الناس حين يتمّ التبليغ.

وفي قوله تعالى: ﴿ واللهُ يعصمُكَ من الناسِ﴾ تقدّم اسم الجلالة على الفعل للوعد والضمان، لأن المتوقّع أن تتمرّد الناس بعد تبليغ هذا الأمر العظيم، والملاحظ أن الله تعالى حين يأمر الرسول بتبليغ ما أرسل إليه يوجّه الخطاب إليه باسم (الربّ) المضاف إلى ضمير الخطاب العائد على الرسول (ص) لتشريفه، وحين يريد أن يبيّن حفظه لرسوله (ص) يستعمل اسم الجلالة (الله)، وتقدّم الاسم (ربّك) على الاسم (الله) للعناية بالرسول (ص) ولتشريفه وليأتي الكلام مترابطاً في الآية منسجماً مع المعنى العام لها.

ونلحظ أن التقديم والتأخير فضلاً عن أغراضه المعنوية فإنه يُسهم في الترابط النصّي في الآيات التي يرد فيها، سواء على المستوى السطحي أو المستوى المضموني، ومن الممكن أن يكون من العلاقات النصيّة المهمة التي تجعل النص متماسكاً دلالياً.

الوظيفة التداوليّة

للتداولية تعاريف عدّة ذكرها العلماء في تصانيفهم الحديثة عنها، وتكاد تتفق هذه التعاريف في المفاهيم الرئيسة والجوهرية لمضمون هذه النظرية، وجميعها تلتقي حول دراسة اللغة في الاستعمال، وهو الوصف الأهم الذي قامت عليه التداولية بوصفها منهجاً جديداً لتحليل اللغة وما يُحيط بها في الاستعمال، وبذلك فهي تهتمّ بأركان العملية التواصليّة ((فتهتمّ بالمتكلّم ومقاصده، بعدّه محرّكاً لعملية التواصل، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتمّ بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، ضماناً لتحقيق التواصل من جهة، ولتُشغّلها في الوصول إلى غرض المتكلّم وقصده من كلامه من جهة أخرى))[20]، فهي تهتمّ بالمتكلّم وقصده وبدراسة الظروف المحيطة به من أجل تفسير الكلام داخل سياقاته التي أنتجته، وما مدى ما أنجزه هذا الكلام من فعل؟.

ويؤكد هذا الكلام جورج بول إذ رأى أن التداولية تسعى لـ ((دراسة المعنى كما يوصله المتكلّم أو الكاتب ويفسّره المستمع أو القارئ، لأنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم، أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة، التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلّم، التداولية هي دراسة المعنى السياقي، التداولية هي دراسة كيفيّة إيصال أكثر ممّا يُقال))[21].

على وفق هذا، فمقاصد الخطاب هي الفاعل الأهمّ في اللغة واستعمالها، إذ يسعى المتكلّم لصياغة كلامه ليتناسب مع مقاصده من تقديم وتأخير أو حذف وذكر أو اظهار وإضمار أو إيجاز وإطناب....إلخ، ويكون في كلّ ذلك مراعياً للبيئة التي أنتجت الخطاب، وهي مؤثرة في اختياره لتراكيبه وطرقه في التعبير، وفي ضوء ذلك سيكون بيان الوظيفة التداولية للتقديم والتأخير في سورة المائدة بتحليل بعض ظواهره.

قال تعالى: ﴿وإذ قالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قلتَ للنَّاسِ اتَّخذوني وأُمِّي إلهينِ من دونِ اللهِ قالَ سبحانكَ ما يكونُ لي أن أقولَ ما ليسَ لي بحقٍّ إن كنتُ قُلتُهُ فقد علِمتَهُ تعلَمُ ما في نفسي ولا أعلَمُ ما في نفسِكَ إنَّكَ أنتَ علاَّمُ الغُيُوبِ﴾ (المائدة:116).

تقدّم الاسم على الفعل في سياق الاستفهام بالهمزة في قوله تعالى: ﴿أأنتَ قلتَ للنَّاسِ اتَّخذوني وأُمِّي إلهينِ من دونِ اللهِ﴾، وتغيّر البنية في الاستعمال يتبعه تغير في الوظيفة والقصد، يقول الرازي: ((اعلم أنك إذا بدأت بالفعل فقلت: أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟ كان الشكّ في الفعل وكان الغرض من الاستفهام معرفة وجوده، وإذا بدأت بالاسم فقلت: أأنت بنيت هذه الدار؟ كان الشك في الفاعل من هو، لا في وجود الفعل))[22]، وهذا الانزياح في الاستعمال بتقديم الاسم على الفعل حقّق وظيفة تداولية، ولا يمكن أن يكون هذا التركيب أفاد الإنكار أو التقرير أو التوبيخ لأن مقام الحوار بين الله تعالى وعيسى عليه السلام يستبعد هذه المعاني، ورأى عبد القاهر الجرجاني أن ((تقديم الاسم يقتضي شبهاً بما اقتضاه في الماضي من الأخذ بأن يُقِرّ أنه الفاعل أو الإنكار أن يكون الفاعل))[23]، وفي الآية الكريمة إنكار لأن يكون عيسى عليه السلام هو فاعل القول للناس بعبادته وأمّه.

ربّما جاء الخطاب على هذا النحو بتقديم ضمير الخطاب (أنت) على الفعل (قلت)، لبيان حقيقة أن هذه العبادة لم يقع الأمر بها لا من الله تعالى ولا من النبيّ عيسى عليه السلام، فهي بدعة ابتدعها المشركون من قوم عيسى عليه السلام، وهذا الأسلوب أكثر نجاعة في تنزيه الله تعالى وتنزيه نبيّه من البدع التي اخترعها هؤلاء، وليس هناك أثر لمعنى الإنكار على عيسى عليه السلام من قبل الله تعالى ولا توبيخه، وقول عيسى عليه السلام يدلّ على ذلك ﴿ تعلَمُ ما في نفسي﴾، ففي ضوء مقام الربوبية والنبوّة وسياق الحوار في الآية الكريمة الذي يظهر أدب النبيّ عيسى عليه السلام في الكلام مع ربّه يمتنع أن يكون هو من أمر قومه بعبادته وأمّه، لذا فتقديم الاسم بعد الاستفهام قبل الفعل (قلت) لإظهار أن هذا الأمر وقع أو أنه سيقع في المستقبل، وهو لإثبات النسبة لكن أحد طرفيها قد حذف للإيجاز لدلالة السياق عليه والتقدير (أأنت قلت للناس أم هم)، فنفى القرآن التهمة عن عيسى عليه السلام، وهذا التحليل للتقديم ذو رؤية بلاغية وظيفية تربط البنية بالاستعمال لأجل بيان البعد التداولي.

قال تعالى: ﴿ليسَ على الَّذينَ آمنُوا وعمِلُوا الصَّالحاتِ جُناحٌ فيما طَعِمُوا إذا ما اتَّقُوا وآمنُوا وعمِلُوا الصَّالحاتِ ثمَّ اتَّقُوا وآمنُوا ثمَّ اتَّقُوا وأحسنُوا واللهُ يُحِبُّ المُحسنِينَ﴾ (المائدة: 93)

تقدّم الاسم على الخبر المثبت في الآية الكريمة على الفعل في قوله تعالى: ﴿ واللهُ يُحِبُّ المُحسنِينَ﴾، ولهذا التقديم أسراره البلاغية ووظيفته التداولية بحسب قصد منتج الخطاب، وهو كما يرى عبد القاهر الجرجاني: ((مما يحسن ذلك فيه ويكثر الوعد والضمان كقول الرجل: أنا أعطيك، وأنا أكفيك، وأنا أقوم بهذا الأمر، وذلك أن من شأن من تعِدُه وتضمن له أن يعترضه الشكّ في تمام الوعد وفي الوفاء به، فهو من أحوج الشيء إلى التوكيد))[24]، رأى الجرجاني أن التقديم آكد لإثبات الفعل، وأضاف الرازي إلى التوكيد أمر آخر وهو إثبات أن المتكلّم هو فاعل الفعل في قوله: ((فإذا قدّمت الاسم فقلت: زيدٌ قد فعل، و أنا قد فعلت، اقتضى أن يكون القصد إلى الفاعل، وقولي القصد إلى الفاعل يقتضي وجهين، الأول: أن يكون الغرض تخصيص ذلك الفعل بذلك الفاعل، كقولك: أنا كتبت في المعنى الفلاني، وأنا شفعت في بابه، والمراد أن يدّعي الانفراد بذلك، والثاني: ألا يكون المقصود هو التخصيص بل لأجل أن تقديم المحدّث عنه آكد لإثبات ذلك الفعل له، مثل قولهم: هو يعطي الجزيل، فلا تريد الحصر بل أن تحقّق على السامع أن إعطاء الجزيل دأبه، وتمكّن هذا الحديث في نفس السامع))[25].

وفي الآية الكريمة تقدّم اسم الجلالة (الله) على الفعل (يُحبّ) ليتحقّق في ذهن السامع أن حبّ المحسنين هو من الأمور الثابتة بالنسبة إلى الله تعالى، ترغيباً للإحسان والعمل به من قبل العباد، وفي ضوء هذه الآية الكريمة اتضحت قاعدة تداولية يقوم عليها التقديم والتأخير، وارتباط هذا التركيب بالوظيفة التواصليّة وبيان قصد المتكلّم في الاستعمال.

الوظيفة الأسلوبية

التقديم والتأخير ظاهرة أسلوبية، هذا إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن التقديم والتأخير تتمّ دراسته ضمن مباحث علم المعاني، وإذا علمنا أن الأسلوبية هي ((علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب))[26]، فإن الممارسات التحليلية التي قام بها علماء البلاغة تدخل في هذا الحيز من التحليل الأسلوبي، وإن الدراسات التي تناولت التقديم والتأخير خاصة عند الجرجاني والسكاكي والرازي وغيرهم كانت تظهر اهتمامهم بإظهار السمات الأسلوبية للنصوص التي يدرسونها وإن لم يسمّوها باسمها، وقد ((طوّرت الأسلوبية التحليل الداخلي والتزامني وعزّزت البحث المختص بجماليات الكتابة فضلاً عن دراسة الترابط بين الشكل والمضمون))[27].

فالأسلوبية لها نظامها الخاص الذي يقع ضمن النظام اللغوي لأي لغة، وأن ما تلاحظه الأسلوبية ((يتجلّى في البحث عن معنى العبارة، وعن سماتها الوجدانية، وعن مكانها ضمن السياق التعبيري، وفي الطرق التي تعطي لهذه العبارة صورتها))[28]، وعلى وفق هذه الوظائف للتحليل الأسلوبي سيتمّ تحليل الأمثلة من سورة المائدة لبيان الوظيفة الأسلوبية للتقديم والتأخير.

قال تعالى: ﴿يا أهلَ الكتابِ قد جاءَكمْ رسُولُنا يُبيّنُ لكُم كثيراً ممَّا تُخفُونَ من الكتابِ ويعفُو عن كثيرٍ قد جاءَكمْ من اللهِ نورٌ وكتابٌ مبين* يهدي بهِ اللهُ من اتَّبعَ رِضوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ويُخرجُهُم من الظُّلماتِ إلى النُّورِ بإذنِهِ ويَهدِيهمْ إلى صراطٍ مستقيم﴾ (المائدة: 15-16).

في الآيتين الكريمتين تقديمات متعددة أبانت عن التعبير المُحكم المنسجم مع المعنى والمتسق أسلوبياً مع النظم القرآني، ففي قوله تعالى: ﴿ قد جاءَكمْ من اللهِ نورٌ وكتابٌ مبين﴾ تقدّمت شبه الجملة (من الله) على الفاعل وهو (نور) و (كتاب مبين)، لبيان أن هذا النور والكتاب من الله، والسبب أن خطاب الآية موجّه لأهل الكتاب كما في مفتتحها (يا أهلَ الكتاب)، وهم كانوا يشكّكون بالرسول (ص) وبالقرآن الكريم، ولبيان أمر مهم آخر وهو أن القرآن لم يختص نزوله بالعرب، فهو موجّه أيضا لأهل الكتاب وللبشرية جمعاء، ويظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿قد جاءَكمْ رسُولُنا﴾ و ﴿ قد جاءَكمْ من اللهِ نورٌ﴾ بتكرار فعل المجيء مسنداً إلى الرسول (ص) مرّةً وأخرى إلى النور والكتاب، وتقديم مجيء الرسول على مجيء النور والكتاب، لتعظيم شأن النبيّ (ص)، ولتأكيد أن الله تعالى هو القائم به في الموضعين حتى يرفع الشكّ من نفوس أهل الكتاب الذين كانوا يتمنّون أن يكون النبيّ منهم في هذا الزمان.

وتقدّمت شبه الجملة على فاعل الهداية الله في قوله تعالى: ﴿ يهدي بهِ اللهُ من اتَّبعَ رِضوانَهُ ﴾ للاهتمام ولكمال الاعتناء بأمر الهداية[29]، ولحصر الهداية بهذا الاتباع حتى يرتفع الوهم بما يظنّه أهل الكتاب من أفضليتهم على باقي الأمم في هذا الشأن، نلحظ أن التشكيل الأسلوبي في الآيتين جاء دقيقاً متوافقاً شكلاً ومضموناً مع المراد منها، فهناك أوامر نفسية دقيقة لمعالجة الحقيقة التي عليها أهل الكتاب، وتقديم (الظلمات) على (النور) في قوله تعالى: ﴿ ويُخرجُهُم من الظُّلماتِ إلى النُّورِ﴾ لبيان هذا الأمر العظيم الذي عليه أهل الكتاب من الضلال بعد تحريفهم للكتب التي أُنزلت عليهم، وهم في الواقع لا يتّبعون ملّة واحدة، إنما يتبعون مللاً متعددة بدلالة مجيء (الظلمات) بصيغة الجمع، وهذا التقديم لبيان كثرة الضلال أو للإشارة إلى ما هم عليه أصلاً من الوقوع في الظلمات، فهيمنة دلالة لفظة (النور) التي هو استعارة تصريحية عن الهداية وكلّ ما تشتمل عليه لبيان هذه الحقيقة التي يخشاها أهل الكتاب، فهذا التشكيل الأسلوبي الفريد الذي تشربت فيه المعاني بالألفاظ والخطاب بالمعرفة بحال اليهود وواقعهم النفسي الذي هم عليه وتقديم الألفاظ التي تحكمت بهذه المعاني وأبرزتها أسلوبياً تحقّق التأثير والتوصيل الأمثل للرسالة التي يحملها هذا الخطاب.

قال تعالى: ﴿لقدْ أخذْنا ميثاقَ بَني إسرائيلَ وأَرْسلْنا إليهمْ رُسُلاً كُلَّما جاءَهمْ رسولٌ بِما لا تهوى أَنفسُهمْ فريقاً كذَّبُوا وفريقاً يقتلُون* وحسبُوا أَلّا تكونَ فتنةٌ فعَمُوا وصَمُّوا ثمَّ تابَ اللهُ عليهمْ ثمَّ عمُوا وصَمُّوا كثيرٌ منهمْ واللهُ بصيرٌ بما يعملُون﴾ (المائدة: 70-71).

الآيتان الكريمتان تشيران إلى أهم صفتين ذميمتين أخرجتا بني إسرائيل من نطاق الهدى والإيمان، وهما تكذيب الرسل وقتلهم، وسبب ما فعلوه أنهم لم يبصروا الهدى ولم يسمعوا ما دعا إليه رسلهم من الإيمان بالله واتباع أوامره، وتكرّر ذلك منهم فاستحقّوا العذاب، وكان لتقديم المفعول (فريقاً) في الموضعين على فعليهما بعدٌ أسلوبيّ أثّر في الخطاب وفي سعة دلالته، وتقديم الفعلين ((عنايةً بأمرهما وتشويق السامع إلى ما فعلوه به، وليس التقديم لأجل القصر، والتعبير بـ (يقتلون) دون (قتلوا) كالمعطوف عليه، لدلالة على أن ذلك من شأنهم وديدنهم، ففيه

معنى يكذبون ويقتلون، وكذبوا وقتلوا، أو لأجل استحضار الحال الماضية من أسلافهم للتعجّب منها، ولم يقصد ذلك في التكذيب لمزيد الاهتمام بالقتل والمبالغة في النعي عليهم أو التوبيخ لهم، وإمّا لأجل رعاية الفواصل ورؤوس الآي))[30]، توسّع صاحب المواهب في بيان التشكيل الأسلوبي لجملة ﴿ فريقاً كذَّبُوا وفريقاً يقتلُون﴾، وبيان سبب الالتفات من الفعل الماضي في (كذّبوا) إلى المضارع في (يقتلون)، فالتعبير أراد الصيغتين من كلّ فعل ليكون أبلغ في التوبيخ والإنكار على أفعالهم، فاتسق ما مطلوب دلالياً من الآية الكريمة وما يتلاءم مع رؤوس الآي والفواصل للسورة الكريمة ليكون الانسجام الإيقاعي مكمِّلاً للانسجام الدلالي، واجتماع التقديم مع الالتفات ((من الإخبار بالفعل المضارع، وهذا من أدقّ الأمور، ولا يُتاح في الاستعمال إلا للعارف برموز الفصاحة والبلاغة، فقد جاء بالفعل الماضي أولاً فقرّر أمراً وقع، ثمّ جاء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل واستحضاراً لتلك الصورة الشنيعة للتعجب منها، واستخلاص العبرة من مطاويها))[31]، ولأن تكذيب الرسل وقتلهم أشنع فعلين ممكن أن تفعلهما الأمم، لذلك جاء الأسلوب القرآني بهذا التشديد ليبيّن حقيقة ما كان عليه بنو إسرائيل، وهذا السبب أخرجهم من الهدى فعموا وصمّوا عن سماع نداء الله، وهو تعبير مجازي عن الضلال الذي هم فيه، وتقديم العمى على الصمّ، أي الرؤية على السمع، لأن الذي لا يبصر بعقله الهدى لا يتسنّى له سماع المنادي إلى الحقّ، فقدّم سبحانه وتعالى الأهم على المهمّ الذي هو تابع له.

نلحظ أن التقديم في الآيتين الكريمتين كان عتبة أسلوبية مهيمنة بُنيت عليها عتبات النص الأخرى دلالياً ووجدانياً وجمالياً لينسجم كلّ ذلك في بناء المعنى العام وتصوّره بدقّة ليحدث تأثيره في المتلقّي وتحقيق المراد منه.

الوظيفة السياقية

تقوم البلاغة على انتقاء الألفاظ وانسجامها مع السياق الذي وردت فيه، وهذا الانسجام يكون محكماً بحيث لا يمكن استبدال لفظة مكان أخرى، فاختيار الألفاظ محكوم بسياقات لغوية ومقامية ومعرفية، فتغيير مواضعها يخرجها من قانون البلاغة والفصاحة، لذا فالسياق بمختلف أنواعه يسهم بدرجة كبيرة بتحديد القصد من الخطاب، وفي هذا المعنى يقول عبد القاهر الجرجاني: ((الألفاظ لا تفيد حتى تؤلّف ضرباً خاصّاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه من التركيب والترتيب))[32]، فأثر السياق واضح في تحديد معنى الألفاظ وأيضاً التركيب والترتيب كما يرى الجرجاني، وفي ضوء هذا سيتضح ما للتقديم والتأخير من أثر في الكشف عن الوظيفة السياقية ومن ثمّ في تحديد المعنى المراد، فالسياق ((يوجّه دلالة الكلمات والجمل والفقرات، بناءً على موقعها في النصّ، واستناداً إلى العلاقات المعنوية بينها، بما يتفق في النهاية مع الغرض العام للكلام، ومع جملة الظروف الخارجية المصاحبة له))[33]، فلا يمكن التغاضي عن أهمية السياق في ادراك المعنى، وادراك السياقات التي ورد فيها التقديم والتأخير في سورة المائدة ممكن أن يكون أداة تفسيرية مهمة للوصول إلى المعنى القرآني.

قال تعالى: ﴿يا أيّها الذينَ آمنُوا شهادةُ بينكمْ إذا حضَرَ أحدَكمْ الموتُ حينَ الوصيّةِ اثنانِ ذَوَا عدلٍ منكُمْ أو آخرانِ من غيرِكمْ إنْ أنتُمْ ضَربتُمْ في الأرضِ فأصابتكمْ مصيبةُ الموتِ تحبِسُونَهما من بعدِ الصلاةِ فيُقسمانِ باللهِ إنِ ارتبتُمْ لا نشتري بهِ ثمناً ولو كانَ ذا قُربى ولا نكتُمُ شهادةَ اللهِ إنَّا إذاً لمنَ الظَّالمينَ﴾ (المائدة: 106).

الآية الكريمة وقعت في سياق بيان حكم الوصية وكيفية الشهادة عليها، والوصيّة والشهادة عليها من الأمور المهمة في الإسلام وأكّد عليها القرآن وفصّل في أحكامها، لذلك جاءت الآية الكريمة بأسلوبٍ خاص ونظم فريد، وجاء التقديم والتأخير فيها ليناسب السياق ويؤدّي وظيفته في بيان أهمية الوصيّة وأحكام الشهادة عليها.

فتقدّم الأمر بالشهادة على ما يشهد عليه، وهو خلاف الأصل لأن ما يُشهد عليه هو الأسبق في الوجود وذلك لتعظيم أمر الشهادة للاهتمام بها والاعتناء بأمرها حتّى لا تُكتم تهاوناً بها، ثمّ تأخّر الخبر (اثنان) وجاء بعد الجملة الاعتراضية (إذا حضرَ أحدَكم الموتُ) أيضا لتعظيم أمر الشهادة والتأكيد على أهميّة أدائها[34]، وتقدّم المفعول (أحدَكم) على الفاعل (الموت) لتخصيص زمن الوصيّة وظرفها والاهتمام بها في وقتها وهو وقت حضور الموت، وتقدّم الضمير (أنتم) على الفعل (ضربتُم) للتأكيد والاهتمام بالوصية أيضاً حتى لا يتهاون فيها، وتقدّم القسم على الريبة في قوله تعالى: ﴿ فيُقسمانِ باللهِ إنِ ارتبتُمْ لا نشتري بهِ ثمناً ولو كانَ ذا قُربى﴾ وذلك للتشديد على أهمية القسم وتعظيمه وعدم النكث به.

فمواضع التقديم والتأخير في الآية الكريمة لبيان أهمية الشهادة وأنها حكم من أحكام الإسلام، فجاء متناسباً مع السياق لإبراز هذه الأهمية وأيضاً لبيان أدائها بالشكل المطلوب بما يظهر الحقّ ويؤدّي الحقوق، لذلك جاء التأكيد على الشهادة في سور أخرى من القرآن الكريم لعظمها وأهميتها، قال تعالى: ﴿وأقيمُوا الشَّهادةَ للهِ﴾ (الطلاق: 2)، وقوله تعالى: ﴿ولا تكتُمُوا الشَّهادةَ ومن يكتُمْها فإنّهُ آثمٌ قلبُهُ﴾ (البقرة: 283)، وقوله تعالى: ﴿والّذينَ همْ بشهادَاتِهمْ قائمُونَ﴾ (المعارج: 23).

فكان للتقديم والتأخير أثره الواضح في إبراز وظيفة السياق القرآني من بيان أحكام الله تعالى فيما يخصّ الوصيّة والتأكيد على الشهادة عليها من أجل حفظ القانون الاجتماعي السليم للمسلمين عموماً.

قال تعالى: ﴿يا أيُّها الّذينَ آمنُوا كونُوا قَوَّامينَ للهِ شهداءَ بالقسطِ ولا يجرِمنَّكُمْ شنآنُ قومٍ على أن لا تَعدِلُوا اعْدِلُوا هو أقربُ للتَّقوَى واتَّقُوا اللهَ إنّ اللهَ خبيرٌ بما تعلمون﴾ (المائدة: 8).

الآية الكريمة نظيرة لآية أخرى من سورة النساء في قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الّذينَ آمنُوا كونُوا قَوَّامينَ بالقسطِ شهداءَ للهِ ولو على أنفسِكُم أو الوالدَينِ والأقربينَ إن يكنْ غنيّاً أو فقيراً فاللهُ أولى بهما فلا تتَّبعُوا الهَوى أن تعدلُوا وإنْ تَلْوُوا أو تُعرضُوا فإنّ اللهَ كان بما تعلمُونَ خبيراً﴾ (النساء: 135).

فقدّم (القسط) على الشهادة في آية النساء، وأُخِّر عن الشهادة في آية المائدة، وأيضاً قدِّم الفعل (تعلمون) في آية النساء على الاسم (خبير)، بينما في آية النساء قدّم الاسم (خبير) على الفعل (يعلمون)، وبالرجوع إلى سياق

الآيتين يمكن تفسير هذا التقديم والتأخير وبيان سببه رغم اشتراك الآيتين بجملة من الأمور المتشابهة وأهمّها بيان أهمية العدل والنهي عن اتباع الهوى.

وفسّر ذلك صاحب مواهب الرحمن، إذ رأى أنهما ((تختلفان في الغرض الذي سيقت له الآيتان الشريفتان، فإن الغرض من آية النساء هو الردع عن الانحراف في الشهادة اتباعاً للهوى بالتحيّز لأحد الأطراف، سواء أكان قريباً أم بعيداً، ابتغاءً للنفع، ولذلك أمر عزّ وجلّ بالشهادة لله ابتغاءً لرضائه، فنهى عن اتباع الهوى، فقال تعالى: ﴿فلا تتَّبعُوا الهَوى أن تعدلُوا﴾. وأمّا آية المائدة فإنّ الغرض منها هو الردع عن الانحراف عن العدل في الشّهادة استجابة للنزعة العصبيّة، بالحيف على من له سابق عداوة معه، فيقيم الشهادة على غير القسط والعدل انتقاماً من المشهود عليه، ولذلك أمر عزّ وجلّ بالشهادة بالقسط، التي هي من مظاهر القيام لله تعالى، ولذلك فرّعها عليه))[35].

ففي ضوء السياق الذي وردت فيه كلّ آية ولغرضها وفق هذا السياق تقدّمت بعض الألفاظ على بعض، ومنه أيضا الفعل (يعلمون) في آية النساء للزيادة في التحذير على ترك التقوى والشهادة لله بالقسط من أجل إرضاء الوالدين أو الأقربين، لأنهم أكثر إغراءً للانحياز لهم، بينما تأخر الفعل في آية المائدة للتأكيد على عدم ترك التقوى واتباع الهوى في الشهادة لله وإقامة القسط، فالتقديم أفاد التحذير الشديد في آية النساء بسبب الروابط العاطفية التي من الممكن أن تحرف عن الشهادة بالعدل.

فالسياق له وظائف متعددة تأسيساً على ما تقدّم، منها الوصول بدقّة لتعيين الغرض من التقديم المنسجم مع المراد من الآيات الشريفة، وتحقيق الانسجام الدلالي المهم في الربط المضموني للنسيج القرآني وما يتبعه من نظام إيقاعي خاص يتلاءم مع المعنى القرآني.

الخاتمة

تناول البحث أسلوباً مهمّاً من أساليب العربية، ومظهراً من مظاهر البلاغة العربية والإعجاز القرآني، هو أسلوب التقديم والتأخير، ووقف على أهمّ الوظائف لهذا الأسلوب في القرآن الكريم في ضوء التطبيق على سورة المائدة، ولا بدّ من إجمال أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، وهي:

- إن التقديم والتأخير في القرآن الكريم يعدّ سمةً تعبيرية مهمّة، وله لطائفه وأسراره الخاصّة التي تدخل في حيز الإعجاز القرآني، لذلك فإنّ تفسير مواضعه وفهمها يقود إلى فهم المعنى القرآني.

- لا يرد هذا الأسلوب اعتباطاً في القرآن الكريم، إنما له وظائف مختلفة ومنها الوظيفة البلاغية فيما يخصّ دقّة الاستعمال وبلاغته العالية بما يناسب الفائدة المعنوية وينسجم معها.

- فضلاً عن ذلك، فلأسلوب التقديم والتأخير وظيفة جمالية في القرآن الكريم، فهو يُسهم في بناء النص القرآني ليتصف بالسمات الجمالية التي تجعله مؤثراً في المتلقّي تأثيراً بليغاً.

– يشترك التقديم والتأخير في الربط المضموني والشكلي، ممّا يكون له أثر في ترابط النص القرآني وفي انسجامه واتساقه، فيسُهم في جعل النص القرآني متّسماً بالوحدة العضوية والموضوعية.

– ويسهم هذا الأسلوب أيضاً في تحديد المعنى التداولي المراد، فتقديم ألفاظ وتأخيرها في سياقات أخرى متشابهة يخضع لقانون المعنى، ومن ثمّ تحديد الخطاب ومعرفة المقصود منه.

– وللتقديم والتأخير وظائف أسلوبية مهمة، تجعل النص القرآني متناغماً دلالياً وإيقاعياً، شكلاً ومضموناً فكأنّه نسيج متلاحم.

– السياق القرآني يتحكّم باختيار الألفاظ والنظام التعبيري أيضاً، وفي ضوء رصد مواضع التقديم والتأخير في سياقاتها المختلفة يمكن الوصول إلى القصد القرآني، فالسياق يعدّ دليلاً على المعنى ومفسّراً لمواضع التقديم والتأخير في القرآن الكريم.

الهوامش:

[1] – دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، صحح أصله الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، علّق عليه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط3، 1422هـ– 2001م: 88.

[2] – دلائل الاعجاز: 87.

[3] – دلائل الإعجاز: 85.

[4] – علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، 1424هـ– 2004م: 116.

[5] – مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، انتشارات دار التفسير– ايران، ط2، 1428هـ – 2007م: 10/ 361.

[6] – ينظر: مواهب الرحمن: 11/ 84.

[7] – غرائب القرآن ورغائب الفرقان: الحسن بن محمد نظام الدين، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، لبنان– بيروت، ط1، 1416هـ :568/2.

[8] – ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، منير محمود علي المسيري، تقديم: د. علي جمعة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1426هـ– 2005م: 316.

[9] – مواهب الرحمن: 11/ 246–247.

[10] – تلخيص التمهيد، محمد هادي معرفة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط4، 1422هـ.ق: 209/2.

[11] – ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، المسيري، 329.

[12] – مواهب الرحمن: 12/ 416.

[13] – التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، دار الجماهير للنشر والتوزيع ، (د. ت): 6/ 221.

[14] – ينظر: مواهب الرحمن: 11/ 317.

[15] – ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم العرفة، الكويت، 1992م: 10.

[16] – ينظر: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، منشورات الاختلاف– الجزائر، ط1، 1428هـ–2007م: 25.

[17] – ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند ودريسلر ، ترجمة: تمام حسّان، دار الكتب، القاهرة– مصر، ط1، 1418هـ–1998م: 103– 105.

[18] – مواهب الرحمن: 11/ 207.

[19] – ينظر: مواهب الرحمن: 12/ 5–6.

[20] – التداولية والبلاغة العربية، لهويمل باديس، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد السابع، اصدار مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة– الجزائر، 2011م: 18.

[21] – التداولية، جورج بول، ترجمة: عبد القادر قنيني، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 1431هـ – 2010م:19.

[22] – نهاية الايجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985م :300.

[23] – دلائل الإعجاز: 94.

[24] – دلائل الإعجاز: 100.

[25] – نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: 307–308.

[26] – مقالات في الأسلوبية، د. منذر عياش، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1990م: 29.

[27] – الأسلوبية في النقد العربي الحديث... دراسة في تحليل الخطاب، فرحان الحربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003م: 26.

[28] – مقالات في الأسلوبية: 33.

[29] – ينظر: مواهب الرحمن: 102/11.

[30] – مواهب الرحمن: 12/ 57.

[31] – إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار اليمامة، دمشق– بيروت، دار ابن كثير، دمشق –بيروت، ط7، 1420هـ 1999م، المجلد الثاني: 272/6.

[32] – أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة القاهرة، ط3، 1399هـ– 1979م: 96/1.

[33] – الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين...دراسة بلاغية في التراث العربي، سامي بن عبد العزيز بن علي العجلان، طبع جامعة محمد بن سعود الاسلامية، 1430هـ – 2009م: 55.

[34] – ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، المسيري: 328.

[35] – مواهب الرحمن: 11/ 67–68.

المصادر والمراجع

- ❖ أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة القاهرة، ط3، 1399هـ– 1979م.
- ❖ الأسلوبية في النقد العربي الحديث... دراسة في تحليل الخطاب، فرحان الحربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003م.

- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار اليمامة، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط7، 1420هـ 1999م، المجلد الثاني.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم العرفة، الكويت، 1992م.
- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، دار الجماهير للنشر والتوزيع ، (د. ت).
- التداولية والبلاغة العربية، لهويمل باديس، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد السابع، اصدار مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة- الجزائر، 2011م.
- التداولية، جورج بول، ترجمة: عبد القادر قنيني، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 1431هـ – 2010م.
- تلخيص التمهيد، محمد هادي معرفة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط4، 1422هـ.ق.
- دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، منير محمود علي المسيري، تقديم: د. علي جمعة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1426هـ- 2005م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، صحح أصله الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، علّق عليه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط3، 1422هـ- 2001م.
- علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، 1424هـ- 2004م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: الحسن بن محمد نظام الدين، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط1، 1416هـ.
- مقالات في الأسلوبية، د. منذر عياش، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1990م.
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، انتشارات دار التفسير- ايران، ط2، 1428هـ -2007م.
- النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند ودريسلر ، ترجمة: تمام حسّان، دار الكتب، القاهرة- مصر، ط1، 1418هـ- 1998م.
- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، منشورات الاختلاف- الجزائر، ط1، 1428هـ- 2007م.
- نهاية الايجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985م.
- الوحدة السياقية للسورة في الدراسات القرآنية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين...دراسة بلاغية في التراث العربي، سامي بن عبد العزيز بن علي العجلان، طبع جامعة محمد بن سعود الاسلامية، 1430هـ – 2009م.